

تفسير أبي السعود

192193 - آل عمران الحكم الذي أجرى على الموصول ودواعى ثبوته له كذكرهم في عامة أوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والأرض فإنهما مما يؤدي إلى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في أن قولهم ذلك ليس من مبادئ الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا أو منصوبا على المدح أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف إذ لا اشتباه في أن قولهم ذلك من مبادئ مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي إبراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر إشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلثم وتردد في ذلك وقوله تعالى .

سبحانك أي تنزيها لك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها خلق مالا حكمة فيه اعتراض مؤكدة لمضمون ما قبله وممهدة لما بعده من قوله تعالى .
فقنا عذاب النار فإن معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الأعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعى الاستعانة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين أحدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو أعنى الوقاية على ذلك كأنه قيل وإذ قد عرفنا شرك وأطعنا أمرنا ونزهنا عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك .

ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيت مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجوار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيدان بشدة الخوف وإظهار النار في موضع الإضمار لتحويل أمرها وذكر الإدخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدى للإخزاء معان متقاربة يقال أخزاه إذا أبعده وقيل أهانة وقيل أهلكه وقيل فضحة قال ابن الأنبارى الخزى لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد أخزيت خزيا لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك أى المرعى الذي لا مرى على بعده وفيه من الإشعار بفظاعة العذاب الروحاني مالا يخفى وقوله تعالى .

وما للظالمين من أنصار تذييل لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها وجمع الأنصار بالنظر

إلى جمع الظالمين أي ما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر
بالمدافة والقهر فليس في الآية دلالة على نفى الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم
الكفار .

ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان حكاية لدعاء آخر لهم مبنى على تأملهم في
الدليل السمعى بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكير في الإدلة العقلية وتصدير
مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال